



خطبة صلاة الجمعة 19 / 6 / 2015 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(رابطه عائليه)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 183].

رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا وَحَضَرَ رَمَضَانَ: « أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرُ بَرَكَةٍ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ فِيهِ، فَيَنْزِلُ الرَّحْمَةُ وَيَحُطُّ الْخَطَايَا، وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ الدُّعَاءُ، يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ، وَيُبَاهِي بِكُمْ مَلَائِكَتَهُ، فَأَرَوْا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ».

أيها الإخوة:

كل عام وأنتم بخير ونسأل الله أن يرزقنا صدقَ الهمة في الإقبال عليه في رمضان، وأن يُعجِّلَ لنا بالفرج.

سنجعل عنوان سلسلة خطب رمضان لهذا العام (لعلكم تتقون)، والعنوان مأخوذ كما تلاحظون من خاتمة آية فرضية الصوم، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾، والتقوى هي الثمرة العملية والنتيجة التربوية المتوقعة من الصوم.

والتقوى في أكثر تعاريفها اختصاراً: هي فعل المأمورات وترك المنهيات.

وشهر رمضان وما فيه من طاعات وكفٍّ عن الشهوات، تطبيق عملي وتدريب عملي على التقوى، وجدير بدورة تدريبية مدتها ثلاثين يوماً، وتستغرق ساعات النهار كلها أن تُغير السلوك والأفكار وتصحح المعلومات. فكيف إذا كانت مفروضة ومدعومة من رب العالمين. و «لَوْ يَعْلَمُ الْعِبَادُ مَا فِي رَمَضَانَ لَتَمَنَّتْ أُمَّتِي أَنْ تَكُونَ السَّنَةُ كُلُّهَا رَمَضَانَ».

الموضوعات الأربعة المقدمة في هذه السلسلة ستتناول أربعة مشاريع عملية لأربع مسائل مهمة في تقوى الله.

وهي مشاريع قمتم بها أنتم، وأردت أن أنشرها بينكم ليعم نفعها ويتكرر فعلها في أمكنة وأزمنة أخرى، لما رأيت فيها من الخير، ومن تطبيق عملي لمسائل في التقوى، سواء في فعل المأمورات أو ترك المنهيات.

وإني لأتمنى منك أخي وأختي وأنت تسمع كل خطبة منها أن تبدأ بالتفكير بطريقة عملية تناسبك لتكرر هذا المشروع في أسرتك أو متجرك ومعملك.

مشروع اليوم عنوانه: (رابطة عائلية)

أيها الإخوة:

تعلمون أن صلة الأرحام مطلب شرعي رئيس، وتحفظون كثيراً من النصوص في القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلة الرحم، وتعلمون الفوائد العملية للفرد والأسرة والمجتمع عندما يسود جو من صلة الأرحام وتواصل أجيال العائلة مع بعضهم، وأضرار قطيعة الرحم على الفرد والأسرة والمجتمع.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِأَوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: 90].

﴿فَاتَّذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنُ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: 38].

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما بعث وهو بمكة، وهو حينئذ محتف، فقلت: ما أنت؟ قال: «أنا نبي».

قلت: وما التَّجِي؟ قال: «رسول الله» صَلَّى الله عليه وسلّم. قلت: بما أرسلك؟ قال: «بأن يعبد الله، وتكسر الأوثان، وتوصل الأرحام بالبرِّ والصَّلة» [صححه الحاكم ووافقه الذهبي].

قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: «إِنَّ اللهَ ليعمّر بالقوم الدّيار، ويثمر لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضاً لهم»، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «بصلّتهم لأرحامهم» [صححه الحاكم].

عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنّه قال: (أوصاني خليلي أن لا تأخذني في الله لومة لائم، وأوصاني بصلة الرّحم وإن أدبرت) [الطبراني في الصغير].

إذاً معلوم لديكم منزلة صلة الرحم، ولكني أضع بين أيديكم اليوم مشروعاً عملياً يحوّل صلة الرحم من زيارة شكلية يقوم بها أحدنا وينساها أحياناً، أو معايدة رسمية يقوم بها في المناسبات والأعياد، إلى مشروع عمل مثمر تُؤتي صلة الرحم منه ثمارها.

اجتمع خمسة رجال ينتمون لإحدى الأسر الشامية، وتواضعوا بينهم أنه لا بد لهم من أن يعزّزوا صلة الرحم في عائلتهم بمشروع عملي، وصدروا عن رأي أنهم لا بد أن يؤسسوا رابطة عائلية، والمراد بالرابطة معناها اللغوي لا معناها التنظيمي الإداري، تجمع هذه الرابطة أفراد عائلتهم ليتواصلوا فيما بينهم ويتعاونوا.

طلبوا أن يضع كل منهم مقترحات لنظام داخلي لهذه الرابطة العائلية، فكان أن توافقوا بعد مداورة على عشر صحائف فيها ست وعشرون مادة لتكون مقترحاً لنظام داخلي لمشروعهم، ثم دعوا من استطاعوا من أبناء عائلتهم فكانوا ثلاثين فرداً جعلوهم هيئة عامة، ليعرضوا عليهم المشروع ومقترح النظام الداخلي له، فعَدّلوا شيئاً وصوّبوا أشياء وتوافقوا على ماكتبوا ليؤسسوا رابطة عائلتهم العائلية التي تمثل مشروعاً في (لعلكم تتقون) يحقق مراد الشرع الحنيف من صلة الأرحام ورعاية ذي القربى.

عنونوا المادة الثانية من النظام الداخلي بعنوان: المبادئ الأساسية وقالوا فيها:

- أ- تركز المبادئ الأساسية على صلة الرحم إنسانياً ومادياً.
- ب- لا يمكن التفريق بين أفراد عائلتنا بأي شكل من الأشكال.
- ت- لأي فرد من العائلة مثلما له حقوق أدبية وإنسانية ومالية على الرابطة، فإن عليه أيضاً واجبات مماثلة، فالفرد والرابطة ملتزمان بالوفاء بما يترتب عليهما للآخر كل حسب إمكاناته.
- ث- رفع المستوى الاجتماعي والثقافي لأفراد العائلة.

واحد من أهداف الرابطة:

وجعلوا في نظامهم الداخلي أن أعضاء الرابطة هم كل من يحمل لقب عائلتهم وينتمي إلى جدٍ بعيد اختاروه، من الذكور والإناث، ويمكن أن يختاروا أعضاء شرف لا يحملون لقب عائلتهم إذا وجدوا في ذلك مصلحة للعائلة يحضر اجتماعات العائلة كعضو شرف.

أسس النظام الداخلي الهيئة العامة وهي المؤلفة من جميع أفراد عائلتهم، وحدد واجباتها إذ تجتمع مرتين في السنة، يعرض عليها تقرير عن الأعمال التي يقوم بها المكتب الإداري للرابطة العائلية، وتصادق على الحسابات، وتداول المقترحات التي تنفع أفراد العائلة، وتنتخب رئيس وأعضاء المكتب الإداري عند انتهاء ولايتهم.

تدار الرابطة من قبل المكتب الإداري وعميد العائلة، وعميد العائلة - كما أسموه - ينتخب من كبار العائلة مدى الحياة ويكون مرجعاً محكماً في حال وجود أي خلاف.

في المكتب الإداري:

والمكتب الإداري مؤلف من ستة أعضاء تنتخبهم الهيئة العامة من بين أعضائها لمدة سنتين.

وقد حدد النظام الداخلي شروط هؤلاء الأعضاء وأعمالهم واجتماعاتهم.

وقد شكلوا في مشروعهم هذا لجاناً هي تطبيق عملي حقيقي لصلة الرحم التي تعلمون:

1- لجنة التحكيم: مؤلفة من ثلاثة أعضاء مهمتها حل الخلافات العائلية.

2- لجنة الاستعلامات: مؤلفة من ثلاثة أعضاء مهمتها دراسة أوضاع أبناء العائلة مادياً واجتماعياً بموجب بطاقة صمموا لهذا الغرض، وتقدم الاقتراحات للمكتب عن أفضل طريقة مساعدة للمحتاجين.

3- لجنة النشاطات: مؤلفة من ثلاثة أعضاء مهمتها العمل على توثيق الروابط الأسرية في مجالات النشاطات الترويحية والرياضية والثقافية والزيارات والسهرات العائلية.

هذا، وقد أنشأ النظام الداخلي صندوقاً جعله في عهدة المكتب الإداري تتألف إيراداته من الاشتراكات الشهرية وأموال زكاة أغنياء العائلة وتبرعاتهم وهباتهم، ولا تقبل الرابطة أي مبلغ من خارج أبناء العائلة. وتنفق هذه الأموال بأمر صرف موقع من أمين الصندوق ورئيس المكتب الإداري وأمين سرّه، ولا يجوز إنفاق المال إلا في سبيل تحقيق مبادئ وأهداف هذا المشروع الخيّر في صلة الرحم.

أيها الإخوة:

كانت النتيجة العملية لهذا المشروع الخيري الذي أنشأته هذه العائلة الكريمة قبل خمس وعشرين سنة أنها ساعدت من ذلك الوقت وإلى اليوم في زواج عدد من شبابها وبناتها الذين لا يجدون نكاحاً، ودفعت تكاليف العلاج مئات المرات لكل من لا يستطيع علاجاً من أفراد هذه الأسرة، وأقرضت الكثير الكثير لمن احتاج القرض من أبنائهم، وبذلت ما بذلت لإتمام تعليم الأبناء الذين لم يعد آباؤهم يستطيعون تحمل نفقات دراستهم، وأصلحوا بين متخاصمين منهم مرات ومرات، وأحصوا القبور العائدة للأسرة ومن تتابع عليها ممن قضى من العائلة، وصنعوا شجرة العائلة، وواسوا مبتلى وهنؤوا مسروراً وعزّوا مصاباً وقضوا حاجة محتاجين ويسروا على معسرين ونفسوا عن مكروب.

وفي ظل الأزمة تكاتفوا حتى لا يبيت واحد منهم في مراكز إيواء، ولا يحتاج رجل منهم أو امرأة أن يقف أو تقف على أبواب الجمعيات الخيرية.

أيها الإخوة:

يحدث أن يتبرع متبرع كبير لجمعيات خيرية وفي أسرته من الفقراء من فيهم، ولو جعلها في أرحامه لكانت أحسن وأكثر ثواباً. **«الْصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»**، ولعله يتمنى أن يضعها في أرحامه لكنه يخاف إن فتح على نفسه هذا الباب أن لا يستطيع إغلاقه.

أعتقد لو كان في عائلة هذا المتبرع مثل هذا المشروع العائلي لحمى كثيراً من أفراد أسرته من مدّ اليد والحاجة، ولأمن من أن يُفتح عليه باب لا يستطيع إغلاقه.

يحدث أن تقع خصومات بين أفراد في أسرة واحدة ويتخاصم القوم إلى القضاة ويترافعون على أقواس المحكمة.

أعتقد لو كان في عائلة هؤلاء مثل هذا المشروع العائلي لقطع دابر كثير من الخصومات ولحفظ أفراد الأسرة سمعتهم أن تمس، وماء وجوههم أن يراق.

أيها الإخوة:

هذا هو المشروع الأول (رابطة عائلية) في سلسلة رمضان (لعلكم تتقون)، وإني لأنظر إلى اليوم الذي تكثر فيه لقاءاتنا العائلية والرابطة العائلية وعمداء الأسر وصناديق دعم المعوزين من أفراد العائلة... لنكون محققين لقول الله تعالى: **﴿فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾** [الروم: 38] وننال وصلاً من الله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ قَامَتِ الرَّحْمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مِنْ قِطْعِكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَاكَ لَكَ».

والحمد لله رب العالمين